ما ينشر في هذه الصفحة لايعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

أيهما يتقدّم.. صفقة التبادل أم العدوان على رفح؟

العميد د. امين محمد حطيط

في معرض عرض عضلاته ادّعى نتنياهو بأنه واثق من تحقيق "النصر المطلق" وان خطوة واحدة تفصله عنه هي اجتياح رفح وتفكيك ما زعم وجوده فيها من قوى لحركة حماس يقدّرها بـ ٤ إلى ٦ كتائب. اعتبر أنّ تفكيكها شرط لتحقيق ما يزعمه من نصر. لكن نتنياهو الذي يحلم بهذه النتائج هو في الحقيقة منفصل عن الواقع لأكثر من سبب، أهمها أنه في حربه قبل رفح لم يحقق شيئاً يمكن تصنيفه بأنه نصر أو شبه نصر حتى يُضيف أو يبني عليه ما سيحصده في رفح فضلاً عن انّ العوائق التي تعترض "إسرائيل" في تنفيذ العدوان على رفح ليست من الطبيعة السهل تلافيها أو تجاوزها.

فـ رفح ومنطقتها التي لا تتجاوز الـ ٣٥ كلم٢ أي ١٠/١ من مساحة القطاع، تجمع فيها أكثر من مليون و٣٠٠ ألف فلسطيني، أيّ أكثر من نصف سكان القطاع، وبات وجودهم يشكل عائقاً هاماً امام أي عمل عسكري، اذ ان وجودهم يُعقد العملية العسكرية البرية ويتسبّب بكارثة إنسانية ستوصف حتماً بأنها عملية إبادة جماعية مقصودة ومخططة. وهذا ما تخشى أميركا حدوثه وتتوجّس خيفة من تحميلها المسؤولية عنه، لأنها هي من يحتضن "إسرائيل" ويوفر لها كلّ أسباب الاستمرار في ميدان الحرب والعدوان ويمدّها بالأموال والأسلحة والذخائر الفتاكة التي تنتج هذه الإبادة. يضاف الى ذلك ان الجيش الإسرائيلي المحبط معنوياً بسبب الهزائم والإخفاق والمثخن بالجراح ميدانياً لن يكون حاله في رفح بأفضل مما كان عليه قبلها في القطاع، حيث كان الفشل والخسران حليفه فيه، ولم يفلح إلا في القتل والتدمير وارتكاب الجرائم أما القتال فقد كان الفشل فيه مؤكداً. كما أننا لا نهمل الموقف المصري الرافض لعمليات إسرائيلية تحدث ضغطاً عسكرياً في رفح بشكل قد يتسبّب بنزوح الكثير من الفلسطينيين الى سيناء.

لكن نتنياهو رغم كلّ ما تقدّم بقيَ مصراً على تنفيذ اجتياح رفح رابطاً مصير الحرب ونتائجها كلها بمصير هذا الاجتياح، ولذلك أفشل نتنياهو كلّ المساعي التي بذلتها الرباعية الدولية (أميركا، فرنسا، مصر وقطر) وأجهض كلّ محاولات الوصول الى صفقة تبادل الأسرى التي تتضمّن فتح الطريق لإنهاء الحرب وعودة الفلسطينيين الى مناطقهم في القطاع وبخاصة شماله. وانّ أميركا كما يبدو لم تثنه عن العملية كما رشح من الاتصال الهاتفي الأخير بينه وبين بايدن بل جلّ ما قامت به أيّ أميركا هو الوصول الى تفاهم مع نتنياهو حول تنفيذ هذه العملية ضمن شروط وقيود تحدّدها وتراها أميركا مناسبة للتفلت من مخاطر الإبادة الجماعية وتفتح الطريق أمام تسوية للأسرى ومن ثم إنهاء الحرب.

وكما تمّ التسريب غير المؤكد او المعلن من أيّ طرف فإنّ التفاهم الأميركي الإسرائيلي يهدف الى الضغط على المقاومة لتتنازل من جهة ويرضى من جهة أخرى نتنياهو لجهة تنفيذ ما وعد به بشأن رفح، أما مضمون التفاهم فإنّه يتمثل كما يبدو بثلاثة أمور الأول حصر العمليات العسكرية بالمحاور الرئيسية في منطقة رفح والثاني خفض مستوى التدمير والقتل المستهدَف للمدنيين قدر الإمكان، أما الثالث فيتضمّن إنهاء العملية في ٥ أسابيع كحدّ أقصى بحيث لا تتجاوز الأسبوع الأول من حزيران/ يونيو المقبل.

في مواجهة هذا الوضع بادرت مصر إلى عرض صفقة تبادل تتوخى منها قطع الطريق على تنفيذ الاجتياح والتمهيد لعودة النازحين الى مناطقهم ومن ثم إنهاء الحرب. وتلقت المقاومة الفلسطينية العرض هذا وتعاملت معه بمرونة وإيجابية راجحة، لكن نتنياهو ومع أقلية في فريقه الحاكم لم يبد أيّ مرونة حيال العرض، رغم أنّ الأغلبية في الحكومة والكابينت أيدته وطالبت بعقد صفقة التبادل باعتبارها الحلّ الوحيد لاستعادة الأسرى. ويبدو انّ نتنياهو مُصرّ على الرفض ومتمسك بخيار العدوان وفقاً للتفاهم مع الأميركيين حول رفح، في موقف يؤمل منه ان يطيل أمد الحرب ويؤخر المحاسبة التي تحضّر له وتنتظره مع المسؤولين عن الإخفاق والهزيمة وهي محاسبة باتت مؤكدة في الداخل وتلتقي مع التحضيرات الخارجية لإصدار مذكرات توقيف دولية يتوقع أن تسطرها المحكمة الجنائية الدولية بحق المسؤولين الإسرائيليين الأساسيين الثلاثة في الحرب أي نتنياهو رئيس الحكومة وغالنت وزير الحرب وهاليفي رئيس الأركان لارتكابهم جرائم الإبادة الجماعية وجرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية.

وبناء على ما تقدّم نرى انّ التزاحم بات قائماً بين مسارين، مسار الحرب على رفح ومسار التسوية التي تقطع طريق الحرب او تؤجّلها عبر عقد صفقة التبادل وفقا للمبادرة التي عرضتها مصر. ويبدو انّ أميركا تدعم هذه المبادرة دون ان يصل هذا الدعم الى حدّ الضغط على "إسرائيل" لقبولها لا بل نجد أميركا تميل الى الضغط على الفلسطينيين ليتنازلوا عن حقوقهم، في الوقت الذي تعطي نتنياهو فيه الأموال والمساعدات بسخاء منقطع النظير ما يعني انها ليست في وارد تسهيل العمل بالتسوية – الصفقة رغم ما تدّعيه.

يبقى أن نشير الى تطور طفيف في الموقف الأميركي هنا عبر اتصال بايدن بنتنياهو حيث استعمل للمرة الأولى فيه عبارة "العمل على وقف فوري لإطلاق النار" ما يطرح السؤال عن جدية الموقف أم هو للخداع أيضاً؟

وعلى أيّ حال وفي ظلّ غياب الضغط الأميركي الفعلي على نتنياهو ومع وجود التفاهم الأميركي الإسرائيلي حول رفح نرى أنّ الذهاب الى ميدان رفح هو الأرجح كما يبدو حتى ولو تأخر ذلك بعض الوقت، وأنّ العدوان الإسرائيلي على رفح سينفذ بموافقة أميركية، وأنه سيكون ورقة الميدان الأخيرة التي تلعبها "إسرائيل" مع يقين القادة العسكريين فيها بأنّ هذه العملية لن تغيّر المشهد ولن تحقق من النتائج ما يحول دون المساءلة عن الهزائم والإخفاقات السابقة، هذا فضلاً عن كون العملية بذاتها محفوفة بالمخاطر ويحتمل وبشدة أن تفاقم الخسائر والهزائم الإسرائيلية السابقة.

وفي استنتاج إجمالي نقول إنّ نتنياهو قيّد نفسه عندما ربط النصر النهائي بالدخول الى رفح وتفكيك المقاومة فيها وهو أمر لن يكون سهلاً او يسيراً، ومع ذلك فإنّ عدم القيام به سيشكل إقراراً بالهزيمة النهائية. ومن جهة أخرى فإنّ تنفيذ الاجتياح سيتسبّب بخسائر مركبة وكبيرة تلحق بالجيش الإسرائيلي وتهدّد مصير الأسرى بيد المقاومة فضلاً عما ستحدثه من مذابح بحق الفلسطينيين المدنيين وتفاقم الموقف الدولي الذي يتعاظم ككرة الثلاج رفضاً للجرائم الإسرائيلية وما فيها من إبادة جماعية. وقد يفقد "إسرائيل" فرصة التطبيع الموعود مع السعودية أيضاً، الأمر الذي جعل نتنياهو الذي يريد الحرب على رفح كما قيّد نفسه، يخشى هذه الحرب كما يخشى تركها. وتبقى الكلمة الأخيرة فيها لأميركا التي تبقى لها كلمة الفصل والحسم. فبقرار منها تنفذ الصفقة وتقطع طريق الحرب على غزة او يحدث العكس مع ترجيحنا حتى الآن لاحتمال الاجتياح المحدود الذي حدّدت شروطه بالتفاهم الأميركي - "الإسرائيلي"، اجتياحاً نتوقع ان يراكم هزائم "إسرائيل" التي لن تجد فيه حلاً كما تتوخى وهو ما حذرها منه ضباط سابقون لديها أيضاً، وبعد الفشل ستضطر صاغرة للدخول في التسوية.

تهديد نتنياهو بإجتياح رفح.. فزاعة لا تخيف أحداً

سعيد محمد

منذ عدة اشهر ورئيس وزراء الكيان الاسرائيلي بنيامين نتنياهو، يهدد بإجتياح رفح، بهدف تدمير حركة المقاومة الاسلامية حماس وتحرير الاسرى، وفي الاسابيع والايام الاخيرة، اخذ يتحدث عن موعد الاجتياح، الذي بات وشيكا، وان الامر لم يعد سوى مسألة وقت، ولكن التطورات الميدانية، لا تشجع المراقبين على تصديق تهديداته، بإجتياح غزة و تحقيق «نصر مؤزر» في عدوانه، بل على العكس تماما، هناك من يرى ان تهديداته، ليست سوى قنابل دخانية للتغطية على فشله، ومحاولة للضغط على الوسطاء والمقاومة وحاضنتها الشعبية، بعد ان فشل في تحقيق الاهداف التي اعلنها في بداية العدوان.

العارفون بدهاليز العلاقة بين امريكا والكيان الاسرائيلي، على اطلاع كامل ان نتنياهو لا يمكنه اجتياح رفح، لعدة اسباب، ابرزها صمود المقاومة، التي فضحت اكاذيبه بشان سيطرته على شمال ووسط قطاع غزة، رغم مرور ٧ اشهر على العدوان، ورغم سياسة الارض المحروقة التي يتبعها، والتي ألبت عليه الراي العام العالمي ولاسيما الامريكي والغربي، والذي احرج ذلك حتى عتاة مؤيدي وداعمي وانصار الكيان الاسرائيلي في الغرب، فحتى يقين وخاصة امريكا، ان العدوان الاسرائيلي على غزة قد فشل، وان تمسك نتنياهو بخيار الحرب، مرده ان اي خيار اخر، يعني نهاية حياته السياسية والى الابد، لذلك يعمل الغرب على فصل مصير الكيان الاسرائيلي، عن مصير نتنياهو، عبر الضغط عليه ومنعه من تكرار اخطائه التي لم تجلب للكيان وحماته الغربيين سوى العار.

نظرة سريعة الى ما يجري داخل الكيان منذ ٧ تشوين الاول اكتوبر الماضي، تؤكد ان الاوضاع التي يمر بها الكيان داخليا لا تبشر بخير، فهناك انقسامات عمودية وافقية، تمزق المجتمع الصهيوني، اضيف اليها الاوضاع الاقتصادية الصعبة التي تمخض عنها العدوان على غزة، والصراع الدائر بين الصهاينة المتعصبين من الحريديم، الذين يرفضون الخدمة العسكرية، وبين باقي الصهاينة الذي يصرون انه يجب تجنيدهم اسوة بغيرهم، وهو صراع، يمكن ان يسفر عن هجرة جماعية للحريديم من فلسطين الى الدول التي جاؤوا منها. هذا بالاضافة الى التظاهرات اليومية لعوائل الاسرى، التي باتت تطوق منزل نتنياهو، وتطالبه بعقد صفقة ممع المقاومة لتحرير ابنائهم، وهو ما يعني ضرورة وقف العدوان، وهي تظاهرات اتسعت وباتت اكثر اصرارا على مطالبها بعد الفيديوهات التي تتبثها المقاومة، والتي تتحدث عن مقتل نحو ٧٠ من الاسرى، تحت القصف الاسرائيلي على غزة، وهو ما يجعل نتنياهو يفكر الف مرة قبل ان يقدم على شن هجوم على رفح.

الامر الذي زاد من متاعب نتنياهو، والذي سيمنعه من تنفيذ تهديده باجتياح رفح، هو ما ترشح عن مصادر متعددة، عن احتمال ان تصدر المحكمة الجنائية الدولية مذكرات اعتقال ضده وضد وزير حربه يوآف غالانت ورئيس اركانه هرتسي هاليفي، على خلفية جرائم الحرب التي ارتكبوها في غزة، والمعروف ان اكثر من مليوني ونصف فلسطيني نزحوا الى مدينة رفح، الامر الذي سيحول اي هجوم على المدينة الى كارثة انسانية، لم يشهدها التاريخ الحديث، وسيزيد ذلك من الغضب العالمي ضد الكيان ورموزه.

الشيء الاخر الذي غاب عن الكثيرين، هو ان كل ما يروج له نتنياهو واركان حربه، عن تواجد حماس وقادة المقاومة في رفح، هو تضليل وكذب، فحماس هي اذكى بكثير من ان تحشر نفسها في مكان جغرافي ضيق، فتجربة الاشهر السبعة الماضية اثبتت ان مقاتلي حماس هم في انفاق مدت تحت كل جغرافيا القطاع، وهذا ما يفسر النشاط العسكري للمقاومة التي تفاجيء قوات الاحتلال ومازالت في جميع انحاء غزة من شمالها الى جنوبها ومن شرقها الى غربها، فحتى لو فرضنا جدلا ان نتنياهو اجتاح رفح، فانه لم يدمر حماس، ولن يحرر اي اسير، كما حدث ذلك في خان يونس وغيرها من قبل.

حال نتنياهو و«جيشه» المأزوم، وصفه محلل الشؤون الاستراتيجية في صحيفة «يديعوت أحرونوت»، المعروف بعلاقاته الوثيقة مع أجهزة الاستخبارات في الكيان، رونين بيرغمان، افضل توصيف عندما قال:» ان ماكينة الدعاية السياسية والعسكرية تقوم بمحاولة إقناع الإسرائيليين بأن اجتياح رفح سيؤدي لتليين مواقف حماس بسبب الضغط العسكري، الذي أثبت في الماضي غير البعيد أنه ليس صحيحا بالمرة. ولا يمكن بأي حال من الأحوال تحقيق اهداف الحرب، وإن الشعار الذي أطلقه نتنياهو، النصر المطلق، هو عمليا الجنون المطلَق".

أميركا والكيان.. فقدان فائض القوة والقيمة المضافة

ناصر قنديل

– تقوم الدول على ركيزتين، الأولى ما لديها من فائض قوة يمثله موقعها الاقتصادي والمالي وما لديها من ثروات وتأثير في اقتصادات الآخرين وما لديها من جيوش وقوة مسلحة وقدرة على شن الحروب أو مواجهة أخطارها، بالإضافة لما تقدمه لها وضعيتها الجغرافية من ثروات طبيعية ومن موقع استراتيجي تصبح عناصر ترجيح لمن لديه فائض قوة اقتصادي وعسكري وتصبح عبئاً على الأضعف فيهما. والثانية ما لديها من قيمة مضافة تتمثل بمنظومة قيم تؤمن بها الدولة وتعمل على أساسها وتخلص للحفاظ على مصداقيّتها تجاهها، فتوسّع نفوذها وتزيد تأثيرها وتحوز الاحترام من خلالها، وتشكل سبباً لاقتناع شعبها بمشروعيّة الحروب التي تدعوهم لخوضها هجوماً أو دفاعاً وتحمل التضحيات التي تتسبّب بها، بينما تسبب ارتباك جبهات العداء الذين يدخلون حالة حرب ضدّها، والدول التي تحمل قيمة مضافة عالية تستثمر أحياناً على مظلوميّتها عندما لا تمتلك فائض قوة كافياً لانتصارها في الحروب.

– عندما نتحدّث عن أميركا فنحن نتحدّث عن دولة كانت تملك قبل ثلاثة عقود عندما انتهت الحرب الباردة، أعلى فائض قوة اقتصادي وعسكري في العالم، حيث كانت تحتل المرتبة الأولى على هذين الصعيدين، بحيث أصبحت القطب الأوحد الذي يدير العالم بلا منازع، أما على صعيد القيمة المضافة فقد كانت أميركا تخرج للتوّ من منازلة مع الاتحاد السوفياتي انتهت بتفككه وانهيار نموذجه الأهم

في روسيا. والفوز على الاتحاد السوفياتي لا يمكن فصله عن تفوق القيمة المضافة التي تفوقت عبرها أميركا ونموذجها الليبرالي اقتصادياً في حل مشكلات الغذاء والرفاهية ونظام حوافز الربح والمبادرة الفردية؛ بينما تفوق قيم الحرية وتداول السلطة ونظام الانتخابات والحريات الشخصية والدينية والإعلامية وتعددية مراكزها، أمام نموذج مغلق اقتصادياً وسياسياً يصادر الكثير من الحريات ويمسك بالاقتصاد بطريقة شديدة المركزية وتتحكم بالسلطة فيه نخبة مغلقة، لكنه يفشل في توفير مقومات الحياة العادية الاستهلاكية لمواطنيه.

– عندما نتحدث عن كيان الاحتلال مع نهاية الحرب الباردة نتحدّث أيضاً عن القوة الأهم في منطقة أفرو آسيا، قادرة على التدخل وخوض الحروب وتقديم الحماية على مساحة القارتين، على خلفية تفوق اقتصادي ونمو تقني متسارع. ونتحدّث عن صورة بعيون الغرب على الأقل، لدولة ديمقراطية وسط بيئة عربية إسلامية متخلفة ومتوحشة، ودولة قادرة على بيع الأمن كسلعة مطلوبة لدى جيرانها ممن يفترض أنهم أعداء يخشون على انظمتهم مع جار جديد هو إيران، ومؤهلة لتشكيل العمود الفقري لنظام إقليمي سياسي أمني اقتصادي، لتمثل القوة الصاعدة في الشرق بعيون الغرب شعوباً وحكومات.

– من دون الحاجة إلى تحليل، تقول الأرقام بلغة اليوم أن أميركا فقدت مكانتها العسكرية الأولى لصالح روسيا ومكانتها الاقتصادية الأولى لصالح الصين، ولم يعد هناك نموذج سوفياتي أمامها لتقارن به أو لتضع محور السياسة الدولية في منافسته، فقد ساد نموذجها في الدول التي كانت عدو الأمس، وأولهم روسيا، مع فارق أن الدولتين الصاعدتين تحملان مشاريع لأدوار عالمية مستمدة من دمج هوية قومية بالهوية الدينية بالتاريخ الإمبراطوري. وقد انضمّت إليهما ايران لاحقاً بالمعايير ذاتها. وهي دول تحمل قيمة مضافة تتصل بالدعوة لعالم أكثر توازناً عبر رفض القطبية الأحادية، التي قامت على فرضية تعميم نموذج عالمي واحد يلغي التنوّع هو النموذج الأميركي. وعندما حاولت أميركا تعويض خسارتها لقيم الديمقراطية والحريات كعناوين جاذبة أخفقت في الحفاظ عليها، استعانت بمحاربة الإرهاب بديلاً، لكنها أخفقت مجدداً عندما ضبطت مراراً وهي تفتح للإرهاب الباب الخلفيّ وتتحدث عن الحاجة للنوم مع الشيطان بحكم المصالح.

– بينما يرى العالم اليوم أميركا الهاربة من حرب أفغانستان للعجز عن تحمل بذل الدماء وتلاه التهرب من منازلة روسيا في حرب أوكرانيا، ومنازلة إيران بحمل تبعات رد كيان الاحتلال على الرد الايرانيّ، وتتعايش مع نزيف هيبتها في البحر الأحمر أمام أنصار اللّه لأنها تتهرّب من بذل الدماء، يسقط الحديث عن فائض القوة العسكري، عندما تتراجع نسبة مساهمة الاقتصاد الأميركي في الاقتصادي العالمي قرابة النصف. وتفقد أميركا صفة الشريك التجاري الأول لأكثر من نصف سكان الكرة الأرضيّة لصالح الصين التي كانت شريكاً أول للنصف الثاني وصارت شريكاً أول لكل بلد في العالم بلا منازع. وعندما يتراجع موقع الدولار كعملة تداول حصريّة ويخسر قرابة نصف عمليات البيع والشراء عبر العالم، وتتحدث التقارير الأميركية عن أزمات ركود وتراجع في النمو وإقفال شركات ومخاطر إفلاس أخرى، تفقد أميركا فائض القوة الاقتصادي. وعندما يرى العالم كيف تصمت أميركا عن جرائم الإبادة التي يشنها كيان الاحتلال بحق الفلسطينيين وتوفر له السلاح والحماية القانونية والدبلوماسية، ويرى كيف يقمع الطلاب ويسحل الأساتذة الذين يحتجون على أبشع حروب القرن، تسقط أي قيمة مضافة يمكن لأميركا التباهي بحمايتها.

– عندما يرى العالم ما جرى في طوفان الأقصى وما يجري من ملحمة عسكرية للمقاومة في غزة ومن إمساك بالمبادرة بوجه جيش الاحتلال لسبعة شهور على جبهة لبنان، وهذا التفوق الاستراتيجي لإيران، يفقد كيان الاحتلال فائض قوته العسكري، ويصبح جيشه جيشاً قاتلاً لا جيشاً مقاتلاً، بتفوقه في قتل النساء والأطفال، وتكفي رؤية تأثير مشاهد ووقائع حرب غزة وعمليات الإجرام المفتوح على الهواء فيها، على الرأي العام في كل الغرب، ومنه اميركا والتظاهرات الحاشدة المندة تشق الشوارع كل يوم، يسقط أي حديث عن قيمة مضافة يمتلكها الكيان.

– وفقاً لسنن التاريخ تسير العظمة الأميركية والجبروت الإسرائيلي نحو الأفول، ولذلك يتصرف قادة الحكومتين بهيستيريا الذئب الجريح، وما نحن فيه هي اللحظات القاسية من مخاض عالمي كبير لا يحتاج إلا الصمود والصبر الذي تظهره الأم في ساعات الولادة وبعضاً من شجاعتها.